

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الدرس الحادي عشر

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين؛ نبينا محمد عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم .

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى وغفر له وللشارح والسامعين في كتابه «الأصول الثلاثة» :

فأركان الإسلام خمسة: شهادة أن لا إله إلا الله وأنَّ محمدًا رسولُ الله، وإقامُ الصلاة، وإيتاءُ الزكاة، وصومُ رمضان، وحجُّ بيتِ الله الحرام. فدليلُ الشهادةِ قوله تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَانِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ١٨] ، ومعناها لا معبودَ بحقٍ إلا الله ؛ «لا إله» نافيًا جميعَ ما يُعبدُ مِن دُونِ الله، «إلا الله» مُثَبِّتًا العبادةَ لله وحده لا شريكَ له في عبادته، كما أنَّه لا شريكَ له في مُلكِهِ . وتفسيرُها الذي يوضحُها قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبْنَيْهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ (٢٦) إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ (٢٧) وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الزمر: ٢٦-٢٨] ، وقوله: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٢٦] .

المصنف رحمه الله تعالى قد ذكر في الأصل الثاني أن مراتب الدين الإسلامي ثلاثة وهي: الإسلام والإيمان والإحسان ، ثم شرع رحمه الله في بيان أركان كل مرتبة من هذه المراتب ؛ فالإسلام أركانه خمسة ، والإيمان أركانه ستة ، والإحسان له ركن واحد ، وكلها يأتي بيانها عند المصنف رحمه الله تعالى .

وبدأ هنا ببيان ما يتعلق بأركان مرتبة الإسلام ، فذكر أن أركان الإسلام خمسة وهي : شهادة أن لا إله إلا الله، وأنَّ محمدًا رسولُ الله، وإقامُ الصلاة، وإيتاءُ الزكاة، وصومُ رمضان، وحجُّ البيتِ الحرام لمن استطاع إليه سبيلاً. وهذا الأركان الخمسة للإسلام ذكرها النبي عليه الصلاة والسلام مجتمعة في بعض الأحاديث ؛ كحديث ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال : ((بني الإسلام على خمس : أن لا إله إلا الله، وأنَّ محمدًا رسولُ الله، وإقامُ الصلاة، وإيتاءُ الزكاة، وصومُ رمضان، وحجُّ البيتِ الحرام)) ، وفي حديث جبريل المشهور لما قال جبريل عليه السلام للنبي ﷺ : «أخبرني عن الإسلام؟» قال : ((أن تشهد أن لا إله إلا

الله، وأنَّ محمدًا رسولُ الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت الحرام إن استطعت إليه سبيلاً)). .

ثم بعد أن ذكر المصنف رحمه الله أركان الإسلام الخمسة إجمالاً شرع في ذكر شيء من التفاصيل لهذه الأنواع الخمسة ، وبدأ أول ما بدأ بـ«شهادة أن لا إله إلا الله» وهي أعظم أركان الإسلام وأعلى شعب الإيمان ، كما قال عليه الصلاة والسلام : ((الإيمان بضع وسبعون شعبة أعلاها قول : لا إله إلا الله ، وأدناها إمطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من شعب الإيمان)). . و«لا إله إلا الله» هي أول شيء يُدعى إليه في هذا الدين ((ليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله)) ، وهي أعظم الكلمات وأجلها على الإطلاق كما قال نبينا عليه الصلاة والسلام : ((وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير)) ؛ فهي كلمة عظيمة ليس في الكلمات كلمة أعظم منها ، فهي أعظم الكلمات وأجلها وأرفعها على الإطلاق .

بدأ المصنف رحمه الله ببيان ما يتعلق بالشهادة ؛ شهادة أن لا إله إلا الله قال : ((فدليلُ الشهادة)) ؛ «الشهادة» هذه الكلمة معرفةً بأل لا تنصرف عند الإطلاق إلا لأعظم الشهادات وأجلها وهي شهادة أن لا إله إلا الله ، ف«لا إله إلا الله» أعظم شهادة لأعظم مشهود به، «لا إله إلا الله» أعظم شهادة يشهد بها العبد ، العبد ربما في حياته يشهد بأمور كثيرة ، وأعظم شيء يشهد به العبد الشهادة بـ«لا إله إلا الله» ؛ فهي أعظم ما يشهد به العبد لأعظم مشهود به وهو توحيد الله جل وعلا ، فهي شهادة عظيمة .

ولهذا ينبغي أن تعلم أيها الأخ المسلم أن أعظم نعمة وأكبر منّة وأجلّ عطية ينعم الله بها عليك في هذه الحياة أن يجعلك من أهل شهادة أن لا إله إلا الله ، هذه أكبر نعمة وأعظم نعمة على الإطلاق ، ليس في النعم أعظم من هذه النعمة؛ أن جعلك من أهل لا إله إلا الله ، من الشاهدين بـ«لا إله إلا الله» ، ولهذا قال بعض السلف : «ما أنعم الله على عبده نعمة أعظم من أن عرفه لا إله إلا الله» . ودليل هذا بل دلائله في القرآن والسنة كثيرة ؛ خذ مثلاً على ذلك: أوائل سورة النحل وهي تُعرف عند أهل العلم بـ«سورة النعم» لكثرة النعم التي عددها جل وعز في هذه السورة ممتناً على عباده بها ، ذكر نعماً كثيرة؛ نعمة المسكن ، ونعمة المطعم ، ونعمة الشراب واللباس ، ونعم كثيرة عددها جل وعلا في هذه السورة ، لكنه سبحانه بدأ عدّ هذه النعم بأعظم النعم وهي نعمة لا إله إلا الله ، فأول نعمة تقرأها في هذه السورة «سورة النعم» هي نعمة لا إله إلا الله ﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (١) يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ ﴿[النحل: ١-٢] هذه أول نعمة تُذكر في سورة النعم سورة النحل .

ولهذا أكبر النعم وأجلها وأعظمها هي نعمة الشهادة بلا إله إلا الله ، وواجب على كل من أكرمه ربه سبحانه وتعالى بهذه الشهادة أن يرعى هذه الشهادة حق رعايتها ، وأن يجاهد نفسه على تتميمها وتكميلها والإتيان بضوابطها وشروطها في ضوء كتاب الله جل وعلا وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام ، وأن يحذر أشد الحذر من كل ناقضٍ لها أو قادح فيها أو منقِصٍ أيضا لهذه الكلمة ؛ بل يجاهد نفسه على تتميمها وتكميلها إلى أن يلقي الله جل وعلا وهو من أهل هذه الكلمة حقاً وصدقاً غير مغير ولا مبدل .

قال : ((فدليلُ الشَّهادة)) يعني دليل شهادة أن لا إله إلا الله : **قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَانِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾** ؛ **﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾** لاحظ أموراً في هذه الشهادة :

- **﴿شَهِدَ اللَّهُ﴾** الشاهد هنا رب العالمين
- **﴿أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾** والمشهود به: توحيده سبحانه وتعالى وحدانيته ، وأنه جل وعلا وحده المستحق للعبادة .

فاجتمع في صدر هذه الآية أعظم شهادة من أعظم شاهد في أعظم مشهود به ؛ أعظم شهادة : لا إله إلا الله ، من أعظم شاهد وهو رب العالمين جل وعلا ، من أعظم مشهود به وهو توحيده جل وعلا وإخلاص الدين له .

﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ﴾ أي وملائكة الرحمن وهم خلقٌ لا يعلم عددهم إلا الذي خلقهم **﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾** [الدثر: ٣١] وكلهم يشهد بذلك ، يشهد أن لا إله إلا الله ، وهم خلقٌ من خلق الله لم نرهم لكننا نؤمن بهم ؛ نؤمن بوجودهم ، نؤمن بأسمائهم التي وردت ، نؤمن بأوصافهم ، نؤمن بوظائفهم المتنوعة الكثيرة التي جاءت مبينة في الكتاب والسنة كل ذلكم نؤمن به، قال تعالى: **﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ﴾** [غافر: ٧] ، وقال تعالى: **﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾** [غافر: ٧٥] ؛ فالملائكة خلق من خلق الله سبحانه وتعالى وهم يشهدون هذه الشهادة العظيمة لا إله إلا الله . وليس في الملائكة ملك إلا وهو من أهل هذه الشهادة ينطق بها ويشهد بها جميعهم بدون استثناء ، الملائكة كلهم يشهدون هذه الشهادة من أولهم إلى آخرهم وهم خلق لا يعصي الله ، لا يوجد في الملائكة شيء اسمه معصية **﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾** [التحريم: ٦] . فذكر جل وعلا شهادة الملائكة قال : **﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ﴾** أي يشهدون أنه لا إله إلا الله .

﴿وَأُولُوا الْعِلْمِ﴾ خص أهل العلم به سبحانه بالذكر دون غيرهم تشريفاً لهم وتعليقاً لقدركم ورفعاً لشأنهم وبياناً لفضلهم على غيرهم ، ويكفي أهل العلم شرفاً وفضلاً أن ذكر جل وعلا شهادتهم بأن لا إله إلا الله مقرونة بشهادته وشهادة ملائكته؛ فهذا شرف لأهل العلم وأما شرف ! وفضل يدل على رفعة العلماء وعلو مكانتهم.

﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ﴾ والمراد بأولي العلم: أي أولي العلم بدينه وشرعه ، وعندما يأتي الثناء على العلماء وأهل العلم في القرآن والسنة المراد به أهل العلم بشرعه ودينه؛ كقوله : ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩] ، ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨] ، ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة: ١١] ونظائر هذه الآيات المراد بهم: أهل العلم به وبشرعه وبدينه . وهم المراد بأهل العلم إذا أطلق هذا اللقب ؛ عندما يقال : «أهل العلم أو العلماء» المراد به أهل العلم بشرعه ودينه ، ومن سواهم ينسبون إلى العلوم التي تعلموها ، فهو وصف نسبي يُقال : عالم في الطب ، عالم في الهندسة ، عالم في الزراعة ، عالم في كذا يُنسب إليه ، لكن أهل العلم أهل الشرف أهل الفضل أهل الثناء في الكتاب والسنة المراد بهم أهل العلم بالله سبحانه وتعالى وبشرعه وبدينه ، وهؤلاء هم الذين ذكر الله سبحانه وتعالى شهادتهم معلياً من شأنهم وقدركم قال : ﴿وَأُولُوا الْعِلْمِ﴾ .

﴿قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ وهذا بيان لشأنه جل وعز الموحّد المقصود بالعبادة المفرد بالذل والطاعة؛ شأنه جل وعلا أنه قائم بالقسط ؛ أي قائم بالعدل . فذكر في الآية التوحيد والعدل ، فالله جل وعلا هو الواحد الأحد الفرد الصمد الذي يُخص بالذل والخضوع والانكسار والطاعة وهو المعبود بحق ولا معبود بحق سواه ، وهو جل وعلا قائم بالقسط؛ أي قائم بالعدل جل وعلا ؛ عدلٌ في شرعه ، وعدلٌ في جزائه وقضائه وأحكامه ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩] .

قال : ﴿قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ؛ قائماً بالقسط: أي قائماً بالعدل وهذه شهادة منه لنفسه جل وعلا بذلك ، شهد لنفسه بذلك أنه لا إله إلا هو ، وأنه جل وعلا قائم بالقسط ؛ أي قائم بالعدل . وقوله ﴿الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ هذان اسمان لله ختمت بهما الآية؛ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ، و«العزیز» يدل على وصفه بالعزة وهو على أنه القاهر الذي لا يغلب جل وعلا ، و«الحكيم» أي الذي له الحكم وله أيضاً الحكمة في أفعاله وأحكامه وأقضيته سبحانه وتعالى .

﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ هذا دليل الشهادة ، وهو دليل يدل على مكانة الشهادة في الدين وعظم شأنها ، وأنها أعظم شهادة لأعظم مشهود به وهو وحدانية الله وتوحيده ووجوب إفراده تبارك وتعالى بالعبادة . أفادت هذه الآية فضل هذه الشهادة ومكانتها وعظم شأنها في الإسلام . والله جل وعلا ذكر أنه يشهد بها وأن الملائكة تشهد بها وأن أولوا العلم يشهدون بها ، والشهادة كما بيّن أهل العلم لا تكون إلا عن علم بالمشهود به واعتقاد لذلك وتكلم به وإعلان ؛ هذه مراتب أربعة لا بد من توافرها في الشهادة لتكون شهادة : العلم ، والاعتقاد ، والتكلم بهذه الشهادة -النطق بها- والإعلام يُعلم ويعلم ذلك .

لما ذكر المصنف رحمه الله تعالى الشهادة ودليلها قال : ((ومعناها)) ؛ أراد أن ينبه فيما سيأتي من بيان أن لا إله إلا الله ليست كلمة لا معنى لها أو لفظة لا مدلول لها ، بل هي لفظةٌ مشتملة على أعظم المقاصد وأجل الغايات وأنبل الأهداف على الإطلاق ، ليست لفظةً لا معنى لها أو لا مدلول لها ، بل هي لفظة مشتملة على أعظم المعاني وأجل المقاصد وأنبل الغايات .

وإذا علم هذا فليعلم أن شهادة أن لا إله إلا الله لا تكفي من قائلها إلا إذا كان عالماً بمعناها عارفاً بمدلولها محققاً لما تدعو إليه من الإخلاص والتوحيد، لا بد من ذلك ؛ لا بد فيها من العلم ، ولا بد من العمل بما تدل عليه من التوحيد ، ولا بد أيضاً من الصدق ليكون من أهلها حقاً . أما أن يشهد بأن لا إله إلا الله ولا يدري ما هي هذه الكلمة ولا يدري على أي شيء تدل!! أو يشهد أن لا إله إلا الله ويعرف معناها لكنه ينقضها بأعماله بأفعال الشرك والكفر!! أو ينطق بها وليس صادقاً من قلبه!! هذا كله لا يكفي ، لا بد من العلم والعمل والصدق ، ولهذا قال العلماء في هذه الأمور الثلاثة والتنبيه على أهميتها في الشهادة قالوا: «بالعلم يخرج من طريقة النصارى ، وبالععمل يخرج من طريقة اليهود ، وبالصدق يخرج من طريقة المنافقين» ؛ فإذا كان من أهل العلم خرج عن طريقة النصارى الذين يعملون ولا يعلمون ، وبالععمل يخرج من طريقة اليهود الذين يعلمون ولا يعملون ، وبالصدق يخرج من طريقة المنافقين الذين يظهرون ما لا يبطنون . فلا بد من العلم ، ولا بد من العمل ، ولا بد من الصدق ليكون من شهد بهذه الكلمة من أهلها حقاً وصدقاً ، ولهذا لا بد من معرفة معنى «لا إله إلا الله» وما تدل عليه من الإخلاص والتوحيد لله جل وعلا وإفراده بجميع أنواع العبادة ، ولهذا بدأ رحمه الله بقوله ((ومعناها)) ؛ لأنها لا تفيد من نطق بها إلا إذا كان عالماً بمعناها .

قال : ((ومعناها: لا معبود بحقٍ إلا الله)) هذا هو معنى لا إله إلا الله ، وهو تفسير مختصر جامع ؛ لا إله إلا الله معناها : لا معبود بحقٍ إلا الله .

لماذا قال : لا إله إلا الله أي : لا معبود بحق ؟ لأن معنى الإله في لغة العرب: المعبود. والتأله: التعبد ، والمألوه : المعبود ، والإله معناه : المعبود ، من أله يأله إلهة أي : عبد يعبد عبادةً ، فهو بمعنى المعبود . و «الإله» مثل المعبود في أصل دلالاته وفي وزنه أيضاً : أله يأله عبد يعبد ، عبادةً إلهةً ، والتأله: التعبد . فلا إله : أي لا معبود ؛ هذا معنى الإله . ولهذا إذا قال قائل : لا إله : أي لا خالق أو لا رازق أو لا منعم هذا لم يفهم معنى لا إله إلا الله ؛ لا في مدلولها اللغوي ولا أيضاً في مدلولها الشرعي . فالإله لغة : المعبود ؛ أي الذي يُذل له ويخضع ويعبد، تُصرف له العبادة .

قال : (((لا إله إلا الله : أي لا معبود بحق إلا الله))) ؛ «بحق» هذه محذوف مقدر ، لأن لا النافية للجنس اسمها إله ، وخبرها محذوف مقدر تقديره بحق ، ولابد أن يكون هذا هو المقدّر دون غيره . رأيتم لو أن شخصاً جعل المحذوف المقدر "موجود"، كأن يقول : "معنى لا إله إلا الله: أي لا إله موجود إلا الله" يكون المعنى فاسداً ، لماذا ؟ لأن الآلهة الموجودة المعبودة بالباطل لا حد لها ولا عد ولا حصر لها ، فإذا قدّر المحذوف بـ :موجود " يعطي معنى فاسداً مناقضاً لمدلول لا إله إلا الله ، فلا بد أن يكون المحذوف المقدر «بحق» ، فيكون المعنى : لا إله إلا الله أي لا معبود بحق إلا الله ، لأن هناك معبودات كثيرة ولكن بالباطل ولهذا إذا أردت دليلاً على تقدير المحذوف بـ «حق» فافراه في القرآن في مواضع كثيرة مثل قوله تعالى : ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ﴾ [الرعد: ١٤] وقوله جل وعلا : ﴿ذَلِكَ بَأْسَ اللَّهِ هُوَ الْحَقُّ﴾ [الحج: ٦٢] والآيات في هذا المعنى كثيرة . فلا إله إلا الله معناها : لا معبود بحق إلا الله . والمعبود : هو الذي يُخضع له ويُذل، تُصرف له العبادة من دعاء ونذر وذبح إلى غير ذلك من أنواع العبادة التي مر معنا شيئاً منها عند المصنف رحمه الله تعالى ، فهذا هو معنى «لا إله إلا الله» : لا معبود بحق إلا الله .

ثم زيادة في البيان والإيضاح قال : ((لا إله)) الذي هو أول هذه الكلمة ((نافياً جميعاً ما يُعبد من دون الله، إلا الله مُثبتاً العبادة لله وحده لا شريك له في عبادته)) وبهذا تعلم أن لا إله إلا الله قائمة على ركنين : نفي وإثبات؛ نفي عام في أولها وإثبات خاص في آخرها ، «لا إله» نفي عام ، «إلا الله» إثبات خاص . النفي العام لكل ما يُعبد سوى الله ، «لا إله» نفي لكل ما يعبد ، نفي لعبادة كل من سوى الله ، ولهذا تسمى «لا» هنا : لا التبرئة، لا البراءة ؛ فهنا تبرأ وتعلن براءتك نافياً جميع الآلهة وجميع المعبودات نفيّاً عاماً مستثنياً رب العالمين جل وعلا «إلا الله» وسيأتي معنا ﴿الَّذِي خَلَقَنِي﴾ [الشعراء: ٧٨] .

فأولها نفي عام ، وآخرها إثبات خاص ؛ وهذا هو التوحيد ، التوحيد لا يكون إلا بالنفي والإثبات ، إن نفي ولم يثبت لا يكون موحداً ، وإن أثبت ولم ينفي لا يكون موحداً ، فالتوحيد لا يكون إلا بالنفي والإثبات . من أجل التوضيح فقط أضرب لكم مثلاً ، فقط للتوضيح حتى نعرف أن التوحيد في مدلوله

اللغوي وأصل معناه لا يكون إلا بالنفي والإثبات ؛ لو قال قائل : "ليس زيدٌ في البيت" نفى دون أن يثبت ، أو قال آخر : "زيد في البيت" ، أي من اللفظين لا يفيد هذا المعنى -معنى التوحيد - ؟ لكن لو قال : "ليس في البيت إلا زيد: نفى وأثبت ، عرفت معنى التوحيد أنه لا يوجد في البيت إلا شخص واحد هو زيد . فبالنفي وحده لا يُستفاد توحيداً ، وبالإثبات وحده أيضاً لا يُستفاد توحيداً ، فالتوحيد لا يكون إلا بالنفي والإثبات ، ولهذا «لا إله إلا الله» كلمة التوحيد توحيد الله جل وعلا قائمة على ركنين : النفي والإثبات ، ولا يكون العبد موحداً إلا بهما ؛ فمن نفى ولم يثبت لا يكون موحداً بل يكون ملحداً ، ومن أثبت ولم ينفي لا يكون موحداً بل يكون مشركاً ، ولا يكون موحداً إلا بالنفي والإثبات ، «لا إله» ينفي العبودية عن كل من سوى الله ، «إلا الله» يثبت العبودية بكل معانيها لله تبارك وتعالى وحده .

ولهذا قال : ((«لا إله» نافية -أي نافية من شهد بهذه الشهادة ونطق بهذه الكلمة- جميع ما يُعبد من دون الله)) ((جميع ما يُعبد)) يدخل تحت النفي ماذا ؟ الملائكة، الأنبياء، الأولياء، الأشجار ، غير ذلك كل ما عبد أو يُعبد من دون الله يجب أن يكون داخلاً تحت هذا النفي «لا إله» نافية للعبودية عن كل من سوى الله أياً كان مهماً علا قدره وعلت مكانته ، «لا إله إلا الله» هذا توحيد لله ، ليس مع الله شريك فيه لا ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا غيرهم .

((«لا إله» نافية جميع ما يُعبد من دون الله، «إلا الله» مُثَبِّتة العبادة لله وحده لا شريك له في عبادته))
 مثبتة العبادة لله وحده . العبادة ما هي ؟ عرفناها وعرفنا شيء من أنواعها فمن قال «لا إله إلا الله» وذبح لغير الله ، أو قال «لا إله إلا الله» واستغاث بغير الله وطلب المدد من غير الله ، أو قال «لا إله إلا الله» ونذر لغير الله أيكون من أهلها ؟ لا ، لا يكون من أهل «لا إله إلا الله» حتى ينفي ما نفت ويثبت ما أثبتت فلا يكون من أهلها إلا بذلك ، قال : ((نافياً جميع ما يُعبد من دون الله، مُثَبِّتة العبادة -بجميع معانيها- لله وحده)) ذلاً وخضوعاً وانكساراً ودعاء ورجاء وركوعاً وسجوداً وخوفاً ورغباً ورهباً وغير ذلك كله لله ، يثبته الله ويصرفه كله لله ولا يجعل مع الله سبحانه وتعالى شريكاً في شيء من ذلك .

قال : ((وحده لا شريك له)) وهذه الكلمة «وحده لا شريك له» تأتي كثيراً في التهليلات المأثورة عن نبينا عليه الصلاة والسلام عقب «لا إله إلا الله» ؛ أليس كذلك ؟ تجد في كثير من التهليلات المأثورة في السنة يقول نبينا عليه الصلاة والسلام : «لا إله إلا الله وحده لا شريك له» . والعلماء يقولون : أن كلمة «وحده لا شريك له» الآتية في الذكر المأثور عن النبي عليه الصلاة والسلام هي تأكيد لما دلت عليه «لا إله إلا الله» من نفي وإثبات ، لأن «لا إله إلا الله» ركنان: نفي وإثبات ؛ أكد الإثبات بقوله : «وحده» ، وأكد

النفي بقوله : « لا شريك له » ، فقوله : « وحده لا شريك له » فيه اهتمام بالتوحيد وتأکید عليه بركنيه :
النفي والإثبات ؛ « لا إله إلا الله وحده لا شريك له » .

ومن جميل النصح وعظيمه في باب ترسيخ معنى « لا إله إلا الله » وتثبيتها في القلوب المؤمنة ما وجه إليه نبينا عليه الصلاة والسلام وأرشد إليه وكان يواظب على فعله ألا وهو التهليلات التي ثبتت عنه عليه الصلاة والسلام أدبار الصلوات الخمس ؛ كان يقول دبر كل صلاة : ((لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، لا إله إلا الله ولا نعبد إلا إياه له النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن ، لا إله إلا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون)) ، هذه ثلاث تهليلات كان نبينا عليه الصلاة والسلام يقولها دبر كل صلاة ، وأمته وأتباعه بإحسان يقولونها تأسيساً به دبر كل صلاة ، خمس مرات في اليوم والليلة بعد أن يسلم المسلم من صلاته يأتي بهذه التهليلات ؛ ثلاث مرات يقول : « لا إله إلا الله » ؛ المرة الأولى يقول « لا إله إلا الله » ويتبعها بقوله « وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير » ، والمرة الثانية يقول « لا إله إلا الله » ويتبعها بقوله : « ولا نعبد إلا إياه له النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن » ، والمرة الثالثة يقول « لا إله إلا الله » ويتبعها بقوله « مخلصين له الدين ولو كره الكافرون » .

ما هذا الذي تُتبع به « لا إله إلا الله » في هذه المرات الثلاث؟ وماذا يفيد؟ لابد أن ننتبه لهذا لأن هذا شيء نكرهه يومياً أدبار الصلوات المكتوبة، نقول : « لا إله إلا الله » ؛ ومرة نقول عقبها : « وحده لا شريك له » ، ومرة نقول عقبها : « ولا نعبد إلا إياه » ، ومرة نقول عقبها : « مخلصين له الدين » . هذا الذي نتبع به « لا إله إلا الله » في هذه المرات الثلاث هو تثبيت لمعناها ، وترسيخ لمدلولها ، وإقامة لحقيقتها ؛ هذا هو معنى « لا إله إلا الله » .

ولهذا أيها الأخ الموفق لو قيل لك : عرّف « لا إله إلا الله » وأردت أن تعرّفها بتعريف جامع وشافي ووافي من خلال ما أنت تردده يومياً أدبار الصلوات المكتوبة فكيف تستخلص من هذه الكلمات المضافة إلى « لا إله إلا الله » في هذا التهليل تعريفاً جامعاً ؟ تابع معي .

في المرة الأولى قلت : « وحده لا شريك له » ، وفي المرة الثانية : « ولا نعبد إلا إياه » ، وفي الثالثة قلت : « مخلصين له الدين » ، استخلص من هذا الذي تكرره كل يوم أدبار الصلوات المكتوبة تعريفاً جامعاً لـ « لا إله إلا الله » من مجموع التهليلات الثلاث ؟

ما رأيك لو قلت : « لا إله إلا الله » معناها : ألا نعبد إلا الله وحده لا شريك له مخلصين له الدين . هذا من أجمع وأحسن ما يكون ، وتعريف أخذته من ذكرٍ نبوي يتكرر معك كل يوم ، تحفظه وتحافظ عليه ويتكرر عليك يومياً ، ولهذا أنصحك أن تحافظ على هذا المعنى لـ « لا إله إلا الله » ، وإذا بليت بمبطل

يبيدك عن مدلول « لا إله إلا الله » فدعك عن باطله وحافظ على هذا التعريف الذي هو معك كل يوم يتردد على لسانك .

فإذا قيل : ما معنى « لا إله إلا الله » ؟ قل معناها : أي لا نعبد إلا الله وحده لا شريك له مخلصين له الدين . هذا التعريف مركب من ماذا ؟ من مجموع التهليلات الثلاث ؛ لاحظ أولاً : « ولا نعبد إلا إياه » نفى وإثبات ، نحن قلنا : « لا إله إلا الله » ما معناها عند الشيخ ؟ لا معبود ، من أين لنا أن « لا إله » : لا معبود ؟ هذا الحديث أماننا وهذا الذكر نردده كل يوم : « لا نعبد إلا إياه » ؛ هذا هو معنى « لا إله إلا الله » ، فلم تأت هذه الكلمة من فراغ ، جاءت من اللغة ومن السنة ، وجاءت أيضاً من القرآن ، ولهذا سيأتي عند المصنف ذكر آيات من القرآن تفسر « لا إله إلا الله » وتبين معناها ؛ مثل قول إبراهيم لقومه : ﴿ إِنِّي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ (٢٦) إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي ﴾ [الرؤف: ٢٦-٢٧] ، ﴿ مِمَّا تَعْبُدُونَ (٢٦) إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي ﴾ هذا معنى « لا إله إلا الله » وسيأتي بيانه .

« لا نعبد إلا إياه » نفى وإثبات ؛ أي نخلص العبادة لله ، « وحده لا شريك له » هذه تأكيد للإثبات وتأكيد للنفي كما سبق بيان ذلك ، « مخلصين له الدين » عرفنا معنى الإخلاص وأن معنى هذه الكلمة أن تكون العبادة صافية نقية لا يُراد بها إلا الله سبحانه وتعالى .
لثببت الأمر والتأكيد عليه أقول : ما معنى « لا إله إلا الله » في ضوء التهليل الذي نردده كل يوم أدبار الصلوات ؟

وهذا التعريف لم نأخذه لا من زيد ولا من عبيد ، أخذناه ممن ؟ من سيد ولد آدم عليه الصلاة والسلام ، من هذا التهليل الذي نردده أدبار الصلوات .

« لا إله إلا الله » معناها في ضوء هذا الذكر الذي نردده أدبار الصلوات تلخص لنا في كلمة موجزة ؛ معنى « لا إله إلا الله » : أن لا نعبد إلا الله وحده لا شريك له مخلصين له الدين .

ثم هذه الكلمة أو هذه التهليلات أتبعته بدلائل للتوحيد ، يعني ذكر معنى التوحيد وذكر دلائل للتوحيد :

- في التهليلة الأولى تقول : « لا إله إلا الله وحده لا شريك له و له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير » هذه كلها براهين ودلائل للتوحيد ، نحن لا نعبد إلا الله وحده لا شريك له مخلصين له الدين لأنه وحده له الملك ، وحده له الحمد ، وحده على كل شيء قدير ؛ فهذه براهين ودلائل للتوحيد .
- في التهليلة الثانية : « لا إله إلا الله ولا نعبد إلا إياه له النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن » ؛ هذه أيضاً براهين للتوحيد .

■ أيضاً في الأخيرة قال : «مخلصين له الدين ولو كره الكافرون» ، وأيضاً ثبت أن النبي عليه الصلاة والسلام كان يقول مع هذه الكلمات : «اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد» ؛ وهذه أيضاً براهين للتوحيد ضُمت إلى كلمة التوحيد برهاناً للتوحيد ودليلاً عليه . «لا مانع لما أعطيت» أي ما كتبته يا الله من عطاء لا يمنعه أحد كائناً من كان ، «ولا معطي لما منعت» الشيء الذي تمنعه لا يستطيع أحد أن يعطيه ، فالأمر أمرك والمن منك والعطاء عطاؤك ، «ولا ينفع ذا الجد منك الجد» أي صاحب الحظ وصاحب النصيب -لأن الجد: هو الحظ والنصيب- لا ينفعه حظه ونصيبه، «لا ينفع ذا الجد منك الجد» أي إن كان ذا حظ وذا نصيب في جاء أو في مال أو في رئاسة أو في غير ذلك كل ذلك لا ينفعه ما لم يكن من أهل «لا إله إلا الله» حقاً وصدقاً .

فينبغي يا إخوان هذا التهليل الذي يكرر أدبار الصلوات المكتوبة أن نستحضر معه هذا المعنى الجليل ، فنحن نردد كل يوم أدبار الصلوات المكتوبة هذه الكلمات العظيمة والتهليلات المباركة التي ترسخ التوحيد في قلوبنا وتمكنه في نفوسنا وتكون عوناً للعبد ليحقق التوحيد ، رأيتم لو أن شخصاً يقول أدبار الصلوات : «لا إله إلا الله وحده لا شريك له» ثم يقول : «لا إله إلا الله ولا نعبد إلا إياه» ثم يقول : «لا إله إلا الله مخلصين له الدين» ، ثم بعد ذلك عرضت له حاجة وأراد أن يسأل إما شفاء من مرض أو يريد ولد أو يريد غنى أو غير ذلك ومد يديه وقال : "مدد يا فلان" ماذا يحدث حينئذ ؟ كل الذي قاله ينهدم وينتقض ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَقَصَتْ غَزَلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا﴾ [النحل: ٩٢] ينهدم كله . ولهذا بعض الناس لم يتبصر في معنى هذه الكلمة ولم يتأمل في مدلولها ولم يوفق في عالم هدى يبين له ما تدل عليه هذه الكلمة من وجوب الإخلاص والتوحيد وإفراد الله تبارك وتعالى بأنواع العبادة ، «لا إله إلا الله» معناها : لا معبود بحق إلا الله ؛ أي لا نركع إلا لله ، ولا نسجد إلا لله ، ولا نذل ونخضع إلا لله ، ولا ندعو ونرجو إلا الله ، ولا نخاف إلا من الله ، ولا نتوكل إلا على الله ، ولا ندبح إلا له ، ولا ننذر إلا له ؛ هذا معنى «لا إله إلا الله» ؛ أن العبادات كلها تثبتها له ونصرفها له وننفیها عن سواه أياً كان ومهما كان .

قال : ((لا شريك له في عبادته، كما أنه لا شريك له في ملكه)) ؛ الله جل وعلا ليس له شريك في الملك ولا في مقدار ذرة ، لا شريك له في الملك ، تفرد جل وعلا بملك الأرض والسموات والجبال والأشجار.. الجميع ملك الله والجميع خلق الله ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكَ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ﴾ [سبا: ٢٢] أياً كان من يدعى من دون الله لا يملك مثقال ذرة الملك كله لله ، تفرد بالملك، تفرد بالخلق، تفرد بالرزق، تفرد بالإنعام، تفرد بالعطاء ، فالذي تفرد في هذا كله يجب أن يُفرد بالعبادة .

وحال كثير من بني آدم عجب؛ يخلقهم الله ويرزقهم الله وهو المتصرف فيهم جل وعلا ثم يتوجهون في حاجاتهم ورغباتهم إلى غيره!! إلى عبد لا يملك لنفسه نفعاً ولا دفعاً ، ولا عطاء ولا منعاً ، ولا حياة ولا موتاً ولا نشوراً ، يتجه إلى عبد من العباد!! بل بعض المضلين يخاطب العوام والجهال يقول لهم : إذا نزلت بكم معضلة "اهتف بالشيخ فلان ، اهتف بسيدي فلان ، اهتف بكذا" ، من يكون؟! وماذا بيده هذا الذي يقول المضل اهتف به؟! ماذا بيده؟! الأمر كله بيد الله تفرد بالملك تفرد بالخلق تفرد بالرزق ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (٢١) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿البقرة: ٢١-٢٢﴾ .

انتبه هنا إلى فائدة جلية في هذا الباب: المصنف يقول : ((لا شريك له في عبادته، كما أنه لا شريك له في ملكه)) يعني كما أن الله سبحانه وتعالى تفرد وحده بالملك والخلق والرزق فيجب أن يفرد بالعبادة ، ولعلنا على ذكر من كلام ابن كثير الذي أعقبه الآيتين من سورة البقرة قال : «الخالق لهذه الأشياء هو المستحق للعبادة» ، والمصنف هنا يقول : ((لا شريك له في عبادته، كما أنه لا شريك له في ملكه)) ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ﴾ [فاطر: ٣] الجواب : لا ؛ إذاً يجب أن يُفرد وحده بالعبادة ، لا يُدعى إلا هو ، ولا يُخاف إلا منه ، ولا يُتوكل إلا عليه ، ولا يصرف شيء من العبادة إلا له وحده تبارك وتعالى ولا يصرف شيء من العبادة لأحدٍ سواه.

أهل العلم يقولون : الذي يُدعى من دون الله وتُصرف له العبادة من دون الله يستحق العبادة إن توفرت فيه أحد أمور أربعة :

❖ الأمر الأول : أن يكون مالكا في هذا الكون ولو شيئا قليلا ملكا استقلاليا ؛ ما معنى ملكا استقلاليا ؟ أي ملكه هو بنفسه دون أن يملكه الله إياه ، فهل أحد من المخلوقات يملك ولو شيئا قليلا ملكا استقلاليا ؟ ولو قليل! هل يوجد ؟ قال الله تعالى : ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ هذا الاحتمال الأول بطل ، لا يوجد مخلوق يملك ولا مثقال ذرة ملكا استقلاليا ، بل الذي يملكه قل أو كثر إنما ملكه بتمليك الله سبحانه وتعالى له ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعْزِزُ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِإِذْنِكَ الْخَيْرُ﴾ [آل عمران: ٢٦] ؛ هذا الاحتمال الأول بطل .

❖ احتمال آخر دون هذا؛ إن لم يكن مالكا أن يكون شريكا للمالك في هذا الملك أو في بعضه ولو في شيء قليل؛ فهل لله -تنزه وتقدس- شريك في الملك ولو في شيء قليل؟ الجواب : لا ﴿وَمَا لَهُمْ فِيهَا

من شريك ﴿ بطل الاحتمال الثاني . ﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ﴾ هذا إبطال الاحتمال الأول ، ثم بعده إبطال الاحتمال الثاني قال : ﴿ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شَرِكٍ ﴾ ؛ ﴿ وَمَا لَهُمْ ﴾ أي الذين يُدعون من دون الله ﴿ فِيهِمَا ﴾ أي السماوات والأرض ﴿ مِنْ شَرِكٍ ﴾ أي مشاركة ولو في شيء يسير . بطل الاحتمال الثاني .

❖ إن لم يكن مالكا ولا شريكاً للمالك هناك احتمال ثالث إن وجد استحق أن يُدعى وهو: أن يكون ظهير للمالك وعوين للمالك يستعين به المالك ويستشيريه ، قال جل وعلا : ﴿ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ ﴾ فنفى جل وعلا الاحتمال الثالث ؛ ﴿ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ ﴾ ؛ ﴿ وَمَا لَهُ ﴾ أي الله ﴿ مِنْهُمْ ﴾ أي الذين يُدعون من دون الله ﴿ مِنْ ظَهِيرٍ ﴾ أي من عوين ومعين ومساعد ووزير ومشير ، نفى ذلك وأبطله .

❖ إذا لا مالك ولا شريكاً للمالك ولا عويناً للمالك بقي احتمال رابع إن وجد أيضاً استحق أن يُعبد ، فأبطله رب العالمين قال : ﴿ وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ ﴾ [الباقية: ٢٣] ، الاحتمال الرابع هو: أن يكون يملك الشفاعة عند المالك ابتداءً، يعني بدون إذن المالك ، فهل أحد يشفع عند الله بدون إذن الله ؟ ﴿ وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ ﴾ ، والشفاعة لا تكون عند الله إلا بإذن الله للشافع ، ورضا الله سبحانه وتعالى عن المشفوع له ، وربنا جل وعز لا يرضى إلا عن أهل التوحيد ، ولهذا قال نبينا عليه الصلاة والسلام لأبي هريرة لما سأله : «من أسعد الناس بشفاعتك يا رسول الله؟» قال : ((من قال : لا إله إلا الله خالصاً من قلبه)) ، وقال عليه الصلاة والسلام في الحديث الآخر : ((لكل نبي دعوة مستجابة، وإني ادخرت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة ، وإنها نائلة إن شاء الله من لا يشرك بالله شيئاً)) .

فهذا السياق تأمله في سورة سبأ ينفعك الله عز وجل به في باب تقرير التوحيد ﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شَرِكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ ﴾ (٢٢) ﴿ وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ ﴾ ؛ قال بعض العلماء : «هذه الآية قطعت شجرة الشرك من أصولها واجتثتها من عروقها، لأنها لم تُبق لمشرك متعلق» ، كل ما يخطر ببال المشرك أنه يتمسك به أبطل في هذه الآية إبطالاً مرتباً ؛ لا مالكا ، ولا شريكاً للمالك ، ولا عويناً للمالك ، ولا يملك شفاعة عند المالك ؛ إذا عبادة كل من يُدعى من دون الله باطلة ، هي من أبطل الباطل وأشد الضلال وأشنعه ولا يستفيد منها صاحبها إلا الخسران ﴿ لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا

يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطٌ كَفِيهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿الرعد: ١٤﴾ ؛ هذه نتيجة من يلتجئ إلى غير الله ويدعو غير الله ويصرف أنواع العبادة لغير الله تبارك وتعالى .

بعد ذلك قال المصنف رحمه الله : ((وتفسيرها الذي يوضحها قوله تعالى)) هذا كلام عظيم . الآن المصنف يفسر «لا إله إلا الله» بماذا ؟ بالقرآن ، وذكر هنا آيتين من القرآن الكريم فيهما تفسير «لا إله إلا الله» ، ولهذا انتبه لتفسير «لا إله إلا الله» ولمعناها في ضوء الآيتين اللتين ساقهما لك المصنف رحمه الله . ومثل هذا الصنيع صنع في كتابه المبارك كتاب التوحيد؛ قال : «باب تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله» ماذا في هذا الباب ؟ «باب تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله» هذا الباب مكون من أربع آيات وحديث واحد . وبهذا تدرك متانة علم هذا الرجل وإمامته ونصحه ، ف «لا إله إلا الله» تفسيرها الذي يوضحها آيات يتلوها عليك من القرآن الكريم .

قال : ((وتفسيرها الذي يوضحها قوله تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ﴾ (٢٦) إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ (٢٧) وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾)) هذا فيه تفسير «لا إله إلا الله» ؛ لأن «لا إله إلا الله» ذكرت هنا بالمعنى .

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ﴾ (٢٦) إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي ﴿؛ «لا» قلنا هي «لا التبرئة والبراءة» ، ولهذا بدل أن يقول : «لا إله» أتى بمعناها وهو البراءة قال : ﴿إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ﴾ ، هذا في الدلالة مثل دلالة «لا إله» ، لأن «لا إله» فيها إعلان البراءة ، «إلا الله» فيها إثبات التوحيد والإخلاص لله جل وعلا .

قال : ﴿إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ﴾ أي متبرئ من كل ما يُعبد سوى الله ، ولهذا استثنى الله جل وعلا قال : ﴿إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي﴾ استثنى ومع الاستثناء ذكر برهاناً للتوحيد قال : ﴿إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي﴾ أي إلا الذي تفرد بإيجادي من العدم وخلقي بعد أن لم أكن ؛ هذا وحده الذي له عبادتي ومن سواه أبرأ منه ، لا يستحق من العبادة ولا شيء لا قليل ولا كثير .

﴿إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ﴾ ؛ أي إلا الذي فطرني فإنني أخلص العبادة له وأفردته بالعبادة وأوحده ولا أجعل معه شريكاً .

﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً﴾ ما هي ؟ «لا إله إلا الله» التي ذكرت في الآية بالمعنى .

﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ﴾ أي جعل كلمة «لا إله إلا الله» باقية في نسله وذريته لتكون معتصماً ومفرعاً يفرعون إليها ويعتصمون بها ويحافظون عليها ، وهي لمن وفقه الله سبحانه وتعالى وهداه من ذريته ، قال : ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ .

ثم ذكر رحمه الله الآية الثانية قال : ((وقوله تعالى : ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾)) هذه أيضاً الآية توضح معنى «لا إله إلا الله» .

قوله : ﴿تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ﴾ ما هي الكلمة السواء المقصودة هنا والمعنية في هذا المقام ؟ وهي كلمة العدل والإنصاف ، كلمة الحق ، كلمة الهدى ؛ ما هي ؟ «لا إله إلا الله» ؛ ﴿تَعَالَوْا﴾ يعني نادي أهل الكتاب اليهود والنصارى إلى كلمة عدل ، كلمة حق ، كلمة هدى وهي «لا إله إلا الله» .

﴿تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ أي كلمة عدل لا تختلف عليها ، اتفق عليها جميع الأنبياء من أولهم إلى آخرهم ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦] ، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥] ؛ فهي كلمة متفق عليها بين جميع الأنبياء ، فيقول الله جل وعلا لنبيه نادي هؤلاء اليهود والنصارى وقل لهم : تعالوا نجتمع على كلمة سواء كلمة عدل متفق عليها بين جميع الأنبياء لا خلاف بينهم فيها ؛ وهي كلمة «لا إله إلا الله» .

﴿الْأَنْعَبِدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا﴾ لو قال لك قائل : ما معنى «لا إله إلا الله» ؟ وقلت : معنى «لا إله إلا الله» : (أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا) قرأت هذا الجزء من الآية ؛ ماذا يكون هذا التفسير ؟ تفسير جامع ، ولهذا الشيخ يقول : ((وتفسيرها : قوله تعالى)) ، فلو قيل لك : ما معنى «لا إله إلا الله» ؟ وقلت : «لا إله إلا الله» معناها وقرأت الآية ﴿الْأَنْعَبِدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا﴾ الجواب تفسير جامع مانع لا مزيد عليه ، نفي وإثبات ﴿الْأَنْعَبِدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا﴾ . ولهذا لاحظ أنت تعيش مع «لا إله إلا الله» وتفسر «لا إله إلا الله» بالقرآن وبالسنة ؛ حافظ على هذا التفسير ، وإذا جاءتك تفسيرات من هنا أو من هناك دعك من تفسيرات الناس وعليك بهذا التفسير الذي في كتاب ربك وفي سنة نبيك صلوات الله وسلامه عليه .

فإذا قيل لك : ما معنى « لا إله إلا الله » ؟ اقرأ القرآن لا ترد على ذلك ، اقرأ كلام الله . إذا قيل لك : ما معنى « لا إله إلا الله » ؟ قل : ﴿الْأَعْبُدِ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا﴾ قف عند هذا ؛ هذا جواب وافٍ وبيان شافٍ جامع لمعنى « لا إله إلا الله » ، ف « لا إله إلا الله » معناها : أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا . ﴿الْأَعْبُدِ إِلَّا اللَّهَ﴾ أي لا نصرف شيئاً من العبادة إلا لله ؛ الدعاء الذبح النذر الاستغاثة الخوف الرجاء ، نحن مر معنا قريباً عند المصنف الأدلة على أن هذه عبادات ، ف« لا إله إلا الله » معناها : أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا . أرايتم لو أن شخصاً - أعيد هذا المعنى - أرايتم لو أن شخصاً قال : « لا إله إلا الله » ودعا غير الله ، استغاث بغير الله ، ذبح لغير الله ، نذر لغير الله أهو من أهل « لا إله إلا الله » ؟ لا ، لأن « لا إله إلا الله » معناها : ﴿الْأَعْبُدِ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا﴾ أي لا نجعل معه شريكاً في شيء من العبادة . ﴿وَلَا نُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا﴾ «شَيْئًا» نكرة في سياق النفي فنفي العموم .

هاتان الآيتان في تفسير « لا إله إلا الله » لكن القرآن فيه آيات كثيرة جداً تفسر « لا إله إلا الله » ، والمؤلف رحمه الله ذكر في كتابه التوحيد قدراً طيباً من هذه الآيات ؛ فمن الآيات المفسرة لـ « لا إله إلا الله » : قوله تعالى : ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء: ٣٦] ، وقوله تعالى : ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [البينة: ٥] ، وقوله تعالى : ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا يَٰهٗ﴾ [الإسراء: ٢٣] ، وقوله تعالى : ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ [الزمر: ٣] وغيرها من الآيات الكريمات المفسرة والمبينة والموضحة لكلمة التوحيد « لا إله إلا الله » .

قال : ﴿وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي لا يطيع بعضنا بعضاً في معصية الله تبارك وتعالى ﴿وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ «مِنْ دُونِ اللَّهِ» هذا يشمل ماذا ؟ يشمل كل أحد؛ فالطاعة لله تبارك وتعالى ، والعبادة والذل والخضوع والانكسار حق لله لا شركة لأحد فيه لا في قليل ولا في كثير ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ يعني امتنعوا وتولوا وأدبروا ولم يقبلوا ، إن لم يقبلوا منك ذلك ﴿فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ ؛ ﴿فَقُولُوا﴾ أي أنت وأمتك - أمة محمد عليه الصلاة والسلام - قولوا لهؤلاء : ﴿اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ أي مخلصون لله تبارك وتعالى التوحيد ، لا نجعل معه الشركاء والأنداد ؛ تعالى وتنزه عن ذلك . إلى هنا يكون المصنف رحمه الله أنهى الكلام على « لا إله إلا الله » ذاكراً فضل هذه الكلمة ، وذاكراً أيضاً معنى هذه الكلمة ومدلولها وما تدل عليه من وجوب إخلاص الدين لله تبارك وتعالى والبراءة من الشرك . صلى الله وسلم وبارك وأنعم على عبد الله ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين .